225019 ـ دراسة شرعية في شعر الشاعر الأسطورة التركي يونس أمره

السؤال

يبالغ الأتراك في احترام شاعر القرون الوسطى التركي يونس أمره ، ويرددون أشعاره ، ويقتبسون منها ، وأظن أنه لا يمكن الوثوق بهذا الشخص أو الاقتباس منه . فهل بالإمكان أن تسوقوا لي الأدلة على حقيقته حتى أعرضها على الأتراك المغالين في حبه . إنه لأمر مهم في محاربة البدع والشرك ؟ .

ملخص الإجابة

يونس إمره ، على الرغم من مكانته الشعرية والأدبية العالية ، ومكانته في الوجدان التركي الإسلامي ، والقومي أيضا ؛ إلا أن الدراسة المتأملة لديوانه : تدل على أنه يعتقد المذهب السني العام في أصل أمره ، كما نقلنا بعض الأبيات التي تدل على ذلك . لكن ، على الرغم من ذلك : كان يقول بعقيدة وحدة الوجود الباطلة الضالة ، كما يصرح في ذلك بكل وضوح : أنه لم يزل على عقيدة الحلاج ، وكما تدل على ذلك الأبيات التي نقلناها ، على الرغم من صعوبة ترجمتها البالغة ، وتعقيدها الأسلوبي .
وهذا العرض ، هو بحسب ما ظهر لنا من الأثر الوحيد المترجم له بالعربية ، وإن كنا نرى أن شخصا بهذه المكانة المركزية ، يحتاج دراسة أعمق لآثاره ، وتاريخه ، ومعرفة ما إذا كان مذهبه العام ، وسيرة حياته ، وسائر مصنفاته : تقول إن مثل هذه الأبيات هي أقرب إلى الشطح الذي وقع فيه كثير من مشايخ الطريق ، أو إن هذا هو بالفعل حقيقة مذهبه .

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

ولد يونس أَمْرِه في القرن السابع الهجري سنة (638هـ) بحسب أقرب التقديرات ، وتوفي سنة (720هـ/ 1322م)، وهذا يعني أنه أدرك نهاية الدولة السلجوقية ، وبداية العصر العثماني . ويعد هذا الشاعر " أسطورة " بحق لدى الشعب التركي ، والتراث الأدبي التركي ، اجتمعت قلوبهم على محبته ، وتحويله إلى " الرمز " الذي لا يختلف النقاد في حضوره في الوجدان التركي ، الثقافي والأدبي والشعبي ، وذلك بفضل مجموعة من العوامل المهمة :
أولها :
صلاحه وتدينه ، الأمر الذي يبدو جليا في أشعاره ، ولدى جميع من ترجم له وكتب عنه ، وتصريحه بتولي الخلفاء الراشدين الأربعة ، والقراءة في كتب السنة الأربعة ، الأمر الذي يدل على مذهبه السني العام ، خلافا لمن يتشكك في ذلك ، وينسبه إلى

الدرزية أو النصيرية .

في ديوانه الشعري ، (ص25) (غزلية/26) يقول :

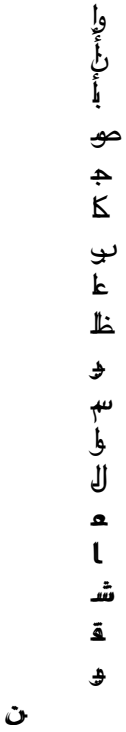

وفي (ص34) (غزلية/52) يقول:

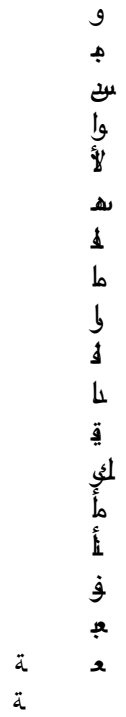

وفي (ص43) (غزلية/79) يقول :

و ع ي ه ط ط ه ط ه ط ه

وفي (ص72) (غزلية/156) يقول :

كإ لن ه ض ف ط لا ط ا با نا ط حي لا

ة

أ ون ئت ؤ ي لأ ف بج لم ف شق م كر يل ط نا جت صل

ي

ي

ف ن ق ه ق ن ه ك ا ط ط ب ط ه ه ت ب ر ت ه ل ا ه ه ب ب ه ه ه

ثانيها :

أنه الشاعر القومي الأول الذي لم يسبقه أحد إلى اعتلاء الأدب التركي ، منذ بداية ظهور الشعر التركي ، كما يقول النقاد .

ثالثها :

سهولة عبارته ، ووضوح كلماته وأساليبه بعيدا عن الشعر المتكلف المصطنع ، فصار شعره محفوظا على كل لسان ، ومفهوما من قبل طبقات الناطقين بالتركية .

رابعها :

قدرته على المزج بين الذوق التركي ، والثقافة الإسلامية الزاهدة ، فأبدع نمطا فريدا من الشعر دخل قلوب الناس وعقولهم .

خامسا :

عنايته برقيق الشعر الذي يتحدث فيه عن حب الخالق جل وعلا ، والتعلق بآلائه ، والتفكر بجلاله وجماله وإنعامه ، فكلماته تفيض بمشاعر النفس الصادقة ، وتعبر عن مكنوناتها التي يحتاج الإنسان إلى التحدث بها دائما ، فيستشعر الارتقاء في مقامات العبودية لله سبحانه ، إذا صاحب ذلك العمل الصالح ، والأخلاق العالية . فكان شعره ذا تأثير روحي عميق على متذوقي اللغة التركية ، وتبوأ مكانة رفيعة في صفحات الأدب التركي .

ولأجل هذه المكانة الرفيعة ، شيدت الحكومة التركية نصبا تذكاريا ليونس أمره في قرية " أسكي شهر " حيث يعتقد أنه مدفون هناك ، وأقامت له المحافل الأدبية العديدة ، وأقرت تدريس أشعاره في المناهج التعليمية ، فضلا عن عناية أتباع الطرق الصوفية بأشعاره في المناسبات الدينية ، حتى غدا شعره محفوظا في القلوب والعقول .

وكما هي الحالة الدينية المعتادة في بلاد الأناضول ، منذ عهود قديمة ، وخاصة في عصر الخلافة العثمانية ، فقد كانت الطرق الصوفية – وما زالت – علامة بارزة لدى السالكين في تلك البلاد ، وعن طريقها انتشر الإسلام بينهم ، وهي طرق عديدة ،

تجتمع على غاية السلوك لرب العالمين ، ولكنها تتفاوت بينها في الوقوف عند حدود ما رسمه الفقهاء من اجتهادات شرعية ، بحسب المذهب المنتشر في تلك البلاد . وأيضا تتفاوت في درجة التزامها بأصول الدين المحددة الواضحة ، وتأثير الحالة العرفانية ، أو المذهب الفلسفي المختلط بأصول الطريقة ، في تحييد تلك الأصول أو على الأقل تأويلها. وأخيرا في دركات البدع والخرافات التي يمارسها السالكون في تلك الطرق ، ما بين مقل ومستكثر .

والمقصود هنا أن من المتوقع أن تنسب الترجمات المعاصرة شاعر تركيا الأول يونس أمره إلى بعض هذه الطرق ، وبالأخص الطريقة " البكتاشية " في بداية نشأتها ، وهي طريقة معروفة لدى العلماء ، ذات نفوذ وانتشار كبيرين جدا في التاريخ العثماني ، يمكن الاطلاع على تفاصيل نشأتها وتطورات معتقدها في كتاب أحمد سري بابا، " الرسالة الأحمدية في تاريخ الطريقة العلية البكتاشية بمصر المحروسة ".

كما يمكنك الاستفادة من الروابط الآتية :

http://www.dorar.net/enc/firq/2348

http://bit.ly/3oLX3Tb

http://bit.ly/3rkxZ7l

وبعد الاطلاع على كامل ديوانه الشعري المترجم إلى اللغة العربية ، لا بد لنا من تسجيل النقد الشرعي الأهم ، كي تتضح الصورة الشرعية ، كما يطلب السائل الكريم :

أولا :

يرد في ديوان الشاعر كلمات تشير إلى عقيدة وحدة الوجود في شكلها الأدبي الشعري ، وهي من أخطر الفلسفات العقائدية التي تغلغلت في قطاعات عريضة من أتباع الطرق الصوفية ، تتلخص في اعتقاد الوجود وجودا واحدا ، هو وجود الذات الإلهية ، وأنه ليس ثمة وجودان ، واجب وممكن ، أو قديم وحادث ، أو خالق ومخلوق ، وهذا يعني إنكار حقيقة الخلق ، وليس مجرد غيب عن شهود ما سوى الله تعالى ، بل هي تعود في حقيقتها إلى إنكار الخالق ، الواحد القهار ، العلي فوق خلقه ، الكبير المتعال على كل من سواه ، وما سواه ، الخالق المدبر لكل مخلوق .

وكثيرا ما استشهد الشاعر – في هذا السياق – باسم الحسين بن منصور الحلاج (ت309هـ)، الذي قال فيه الإمام الذهبي رحمه الله : " تدبر ـ يا عبد الله ـ نحلة الحلاج الذي هو من رؤوس القرامطة ، ودعاة الزندقة ، وأنصف ، وتورع ، واتق ذلك ، وحاسب نفسك ، فإن تبرهن لك أن شمائل هذا المرء شمائل عدو للإسلام ، محب للرئاسة ، حريص على الظهور بباطل وبحق ، فتبرأ من نحلته .

وإن تبرهن لك ـ والعياذ بالله ـ أنه كان ـ والحالة هذه ـ محقا هاديا مهديا ، فجدد إسلامك ، واستغث بربك أن يوفقك للحق ، وأن يثبت قلبك على دينه ، فإنما الهدى نور يقذفه الله في قلب عبده المسلم ، ولا قوة إلا بالله . وإن شككت ولم تعرف حقيقته

، وتبرأت مما رمي به ، أرحت نفسك ، ولم يسألك الله عنه أصلا " انتهى من " سير أعلام النبلاء " (14/345) .

ورد في ديوان يونس أمره (ص/25) (غزلية/25) يقول :

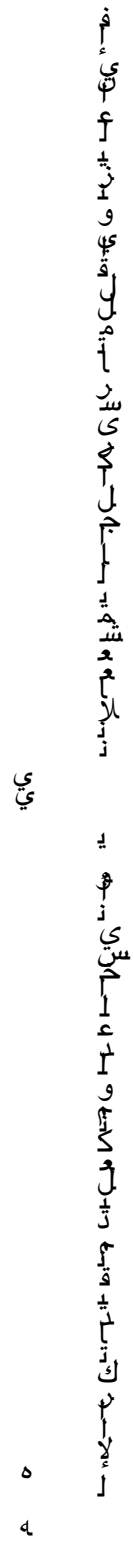

وفي (ص28) (غزلية/32) يقول :

وفي (ص29) (غزلية/37) يقول:

أ ك ش ي ط ب ة ف ي ج غ ف ن ؤ ه ا ي ل ا ه ن ز ل ت ه ذ ا ل ق ر آ ن ع ل ى ط و ئ ف ة م ن ا ل ع ر ب ق ب ل ح ل و ل ا ل ر و م ا ن ي ة ف ق ا ل ت د

ا

ن ن

ن ن

وفي (ص49) (غزلية/95) يقول:

وجاء في (ص78) (غزلية/171) قوله :

ﻫ ﻭ ﻑ ﺗ ﻳ ﻭ ﻫ ﺍ ﻗ ﺩ ﻑ ﻫ ﻝ ﻓ ﺍ ﻅ

ﻩ ﺋ ﺗ ﻉ ﻧ ﺍ ﻛ ﺻ ﻭ ﻳ ﺋ ﺗ ﻉ ﻧ ﻣ ﻩ ﻣ ﻑ ﻫ ﻭ ﻥ ﺍ

ر

٥٥

أ ن ا ف ا ط ه ه ش ك ن ف ف ث ه ا ك ت ا

ن ن

ع ي ر ت ن ب ر ي ر ي ه ي ي ل ت ب ي ي ي ذ ذ ي ع ت

ر ر

ا

ومن أصرحه أيضا ما في (ص86) (غزلية/189) حين يقول :

ل

ل

ثانيا :

المبالغة في التعبير عن حب الله سبحانه بكلمات العشق البشري ، وعبارات الخمر والكأس والساقي ونحوها مما يكثر في أشعار المتصوفة ، يريدون بها التعبير عن تعلقهم بالله سبحانه كما يتعلق شارب الخمر بكأسه ، وكأن هذا الكأس هو كأس المعرفة الذي ترتوي منه نفس الشارب ، الذي هو العارف بالله ، والمحب له . ولا يخفى ما في مثل هذه الشعرية " الخمرية " من خروج عن مقتضى اللياقة الأدبية مع الله سبحانه ، وتشبيه للعلاقة بين العبد وربه بالعلاقة بين البشر ، بل بالعلاقة المختلطة بالمعصية في صورتها الشهوانية المشتملة على العشق والخمر والسكر والعزف والوصال .

جاء في ديوانه (ص43) (غزلية/78) قوله :

وفي (ص54) (غزلية/108) يقول:

ثالثا :

الشطح الصوفي الذي يفضل الحقيقة على الشريعة ، ويعني بالحقيقة التصوف ، وبالشريعة الفقه والأحكام الشرعية ، وأيضا تقديس الدراويش أو " الواصلين "، ويعني بهم مشايخ الطرق الكبار .

وذلك في كثير من المواضع ، منها في (ص19) يقول :

وهذا يعني أن إنكار الوصول لله ، وهو مصطلح منتشر في شعره يريد به الصوفي البالغ مرحلة شهود الله سبحانه في كل شيء ، من ينكر وجود الواصلين من المتصوفة لم ينفعه شيء ولو قرأ كل القرآن الكريم وحفظه .

وفي (ص/19) (غزلية/8) يقول :

إن فوجه هنا عطل صمط لفني صلسفوا لا ولصفها ء ء

من سأل هل ان شلي غ لعقوه لذا بعفيد د د

ويعني بأهل الشرع أهل الفقه ، أي العلماء والفقهاء الذين كان المتصوفة معهم في خصومة .

وفي (ص32) (غزلية/47) يقول:

والحاصل :

أن يونس إمره ، على الرغم من مكانته الشعرية والأدبية العالية ، ومكانته في الوجدان التركي الإسلامي ، والقومي أيضا ؛ إلا أن الدراسة المتأملة لديوانه : تدل على أنه يعتقد المذهب السني العام في أصل أمره ، كما نقلنا بعض الأبيات التي تدل على ذلك .

لكن ، على الرغم من ذلك : كان يقول بعقيدة وحدة الوجود الباطلة الضالة ، كما يصرح في ذلك بكل وضوح : أنه لم يزل على عقيدة الحلاج ، وكما تدل على ذلك الأبيات التي نقلناها ، على الرغم من صعوبة ترجمتها البالغة ، وتعقيدها الأسلوبي .

وهذا العرض ، هو بحسب ما ظهر لنا من الأثر الوحيد المترجم له بالعربية ، وإن كنا نرى أن شخصا بهذه المكانة المركزية ، يحتاج دراسة أعمق لآثاره ، وتاريخه ، ومعرفة ما إذا كان مذهبه العام ، وسيرة حياته ، وسائر مصنفاته : تقول إن مثل هذه الأبيات هي أقرب إلى الشطح الذي وقع فيه كثير من مشايخ الطريق ، أو إن هذا هو بالفعل حقيقة مذهبه .

ونحن لم يتيسر لنا الوقوف على دراسة خاصة باللغة العربية ، تسد هذه الثغرة .

والله أعلم .